

النارية

أديث كريسون

كثيرا ما توصف المرأة بأنها عاطفية، وأنها - بالمقارنة إلى الرجل - انفعالية لا تحسن التحكم في مشاعرها إلى حد بعيد.

فإذا أضفنا إلى هذا الوصف الذي أطلقه الفرنسيون على رئيسة وزراءهم بأنها المرأة النارية Madame de fer لوجدنا أنفسنا أمام هذه المرأة التي استقالت أخيراً من رئاسة الوزارة الفرنسية بعد أقل من عام (١ مايو ٩١ - ٢ أبريل ١٩٩٢) ولم يمضِ على وجودها كرئيسة للوزراء أكثر من عشرة أشهر ونصف الشهر.

أديث كريسون على العكس من مرجريت تاتشر.

فإذا كانت المرأة الحديدية قد نالت احترام زملائها واستطاعت في الغالب التحكم في مشاعرها، فإن كريسون أثبتت - في النظرة العامة - أنها تأثرت أكثر لتكوينها الأنثوي، وبدت غرانزها المسيطرة على كل تصرفاتها، وهي صفات تتعارض مع صفات من يتحمل مسؤولية رئيس للوزراء في دولة مثل فرنسا.

وهنا تثار قضية هامة، هي، إذا كانت المرأة هي أسيرة مشاعرها في حياتها الخاصة، فهي هي كذلك، حين تتحمل مسؤولية سياسية؟

هل المرأة تختلف عن رئيسة الوزراء؟

سوف نتوقف هنا عند الوجه الأول للمرأة: الأنثى لتري إلى أي حد عبرت كريسون عن هذا التكوين، قبل أن نصل إلى المرأة الأخرى: المسئولة.

أولاً: المرأة

ابحث عن المرأة

إن محاولة فهم السياسة الفرنسية إبان تولي كريسون رئاسة الوزراء تدفعنا إلى تصديق الحكمة التي تقول: ابحث عن المرأة، لقد كانت علاقة كريسون بزملائها الوزراء تتسم بالضعف الشديد، إنها في علاقتها بمواقفهم وسياساتهم عنيفة صريحة، لا تعترف بأنصاف الحلول، لا تعرف التعبير الدبلوماسي في التعامل مع الأفراد أيًا كانت مكانتهم..

إنها تعلن من آن إلى آخر أنه لا يجب أن يجمالها أحد قط لكونها امرأة، لأنها مسؤولة مسئولية سياسية، وحين تتخذ قرارات سياسية فيتعرض لها البعض من الرجال فإنها تنقلب عليهم بعنف، ذاكرة أنهم يهاجمونها لكونها امرأة وليس لكونها مسؤولة، وقد هاجمها بالفعل عدد كبير من الرجال سواء من رجال الأعمال أم من بين الجبهة العريضة المعارضة للحزب الاشتراكي الذي تنتمي إليه، أم - حتى - من بين الحزب الذي تنتمي إليه، بل من بين الوزراء في الوزارة التي تنتمي إليها.

لقد سلط عليها التليفزيون سهام نقده إلى درجة أنها هوجمت بعنف من جان أمادو مخرج أحد البرامج التليفزيونية الناجحة، بل إن شارل باسكوا - وهو زعيم يميني هاجمها بعنف قائلًا عنها: كريسون تساوى صفرًا. وصفرًا مثلثًا.

ولم تتردد طيلة فترة حكمها بأن تختلف مع الجميع، وتبدو استفزازية إلى حد بعيد، وراحت تستخدم مع وزير مرموق مثل جاك شيراك من اليمين المحافظ أسلوب سخرية وتهكم أثارت به الكثير مما حولها.

ويبدو أن كريسون كانت تترك أن الأنثى بداخلها كانت أقوى من أى شيء آخر، ومن هنا فإنها حرصت على أن ترتدى دائمًا أفخم الثياب، بل لم ترتدي إلا ملابس ثمينة من بيت أزياء ديور وتوراننت، وكثيرا ما كانت تتجول - منذ كانت وزيرة للزراعة - بالكعب العالي، وكانت تختار دائمًا مكياجًا صارخًا وعطرًا فواحًا إلى حد بعيد، وحين يعرض عليها أحد مساعديها الانتقادات المستمرة ضدها في الصحف كانت تصيح في غضب:

(إن ما يريدونه هو الذكر.. حسنا، فليكن لهم ما يشاءون.. سأصرف كذكر وليس كأنثى..)
ويبدو أن عقدة (الذكر) كانت تسيطر على السيدة كريسون، فكثيرًا ما كانت تخلق مشاكل معهم، حتى إنها ذكرت في أكثر من لقاء معها أنها تمننت منذ كانت طفلة أن تكون رجلا، وفي محاولة لتكون الأنثى رجلا، في حين أن تكوينها الفيزيولوجي يحول دون ذلك، فإنها راحت تؤكد أن الأنثى يمكنها الاستغناء تمامًا عن الرجل، فبرغم عبقرية الرجل - خاصة أن التاريخ لم يشهد عبقریات نسائية في الموسيقى أو الفن التشكيلي خاصة مثل الرجل - فإن السيدة يمكن أن تعيش بدون رجل، ولكن كريسون تضيف هنا: (.. إلا في الحياة الخاصة)..

كانت كريسون تترك أن الفارق بين النوعين: الذكر والأنثى، هو المسئول الأول في طريقة وجودها وتعلمها مع من حولها، في حين حاولت أن تهاجم الرجال بعنف - انطلاقًا من العقدة النسائية - فإنها لم تستطع أن تتخلى عن طبيعتها كامرأة..

امرأة عاطفية لا تستطيع أن تتحكم كثيرًا في انفعالاتها

وإذا كان ذلك قد ظهر واضحًا تمامًا في علاقاتها الداخلية بمجتمع الرجال والقضايا التي تعرضت لها، فقد بدأ أكثر وضوحًا في علاقاتها الخارجية بالشعوب حولها، إن كريسون لم تستطع أن تكبح جماح نفسها في إبداء الرأي في قضايا سياسية كثيرة خاصة بالنسبة لشعوب الشرق أو حتى بالنسبة للشعوب الغربية نفسها.

النمل الياباني :

لم تستطع كريسون التخلي عن تكوينها كأمراة في علاقتها باليابانيين بوجه خاص، لقد هاجمت اليابانيين بعنف شديد، وهذا الموقف العنيف من اليابان له جذور بعيدة في تكوينها حتى قبل أن تتولى الوزارة، كانت تدرك أن اليابان قوة اقتصادية عاتية، وأنها تعمل على تدمير مناطق وقطاعات عديدة من الصناعات الفرنسية والأوربية كآلات التصوير والتليفزيونات وأجهزة التسجيل والعربات.. إلى غير ذلك، وأن اليابان التي توشك على تدمير الاقتصاد الغربي كله يجب أن تقلع عن ذلك؛ إذ إن الغرب لن يسمح بذلك أبدًا.

ومن هنا، حين وقفت كريسون أمام شبكة التليفزيون الأمريكي أي. بي. سي قالت بالحرف الواحد، وباندفاع أنثوى يعوزه كثيرًا من الحرص:

(إن اليابانيين يعملون كالنمل الذي خرج محاولاً غزو أوروبا اقتصاديًا.. إنهم يعملون كالنمل.. لا نستطيع أن نعيش كذا في بيوت ضيقة. ونمضي ساعتين كل يوم للذهاب إلى العمل والعودة منه.. إننا نرغب أن نعيش كبشر كما كنا دائمًا وليس العمل فقط وإنجاب الأطفال كما يفعل الآسيويون واليابانيون الذين هم أقل من مستوى الإنسان الأبيض).

وتصمت كريسون قليلاً قبل أن تقول بانفعال أكثر:

(إن أوروبا ستكون حتمًا الفريسة المقبلة لليابان)

أجرى هذا الحديث في ١٧ يوليو ١٩٩١ وطيلة الأشهر التالية واجهت كريسون هجومًا عنيفًا من الجميع، ليس مواطنيها فقط، وإنما من اليابانيين أيضًا الذين غضبوا بعنف على المستوى السياسي والشعبي..

إعدام كريسون :

على المستوى الشعبي قام اليابانيون بالمظاهرات في شوارع طوكيو وخاصة العمال اليابانيين الذين قاموا بهذه المظاهرات مع غيرهم ضد كريسون، فشهدت الميادين اليابانية جماعات من اليابانيين الغاضبين يصنعون دمية لرئيسة الوزراء ثم يقطعون رأسها بالسيف غضبًا مما قالته، تعبيرًا عن إعدامها لدى الرأي العام في اليابان ولم يلبث أن غضب البرلمان الياباني..

غير أن الغضب الأول جاء من ممثل الحكومة اليابانية الذى راح يقول بغضب وبعنف شديدين :

(الأفضل أن يكون المرء نملة على أن يكون صرصورًا).

وكان معنى قصة النملة والصرصور أن تصبح كريسون صرصورًا.. كيف؟

كان اليابانيون يريدون أن يذكروا بقصة القاص اليونانى القديم: من أن النملة تستطيع - إذا عملت - أن تحقق نجاحًا أكثر من الصرصور إذا نام، فالنملة نشيطة تخزن غذاءها بينما لا يفعل الصرصور غير أن يسكن ولا يتحرك قط لكى يتمتع بأزيز صوته الشجى، ومن هنا، فإذا جاء الشتاء يكون النمل قد أعد العدة أثناء الصيف، فى حين أن الصرصور لم يكن قد فعل شيئًا، فينتظر النمل حياة سعيدة فى حين ينتظر الصرصور حياة يشوبها الجوع وينتهيها الموت..

ولا تلبث أن تعم شوارع طوكيو - مرة أخرى - انظواهرات التسى لا تكتفى هذه المرة بإعدام الدمية (كريسون) فقط، وإنما يمثلون بها، قبل سحلها فى الطريق العام، ويطالبوا فى هتافاتهم أن تعذر كريسون للحكومة اليابانية.. وبالفعل، استدعت وزارة الخارجية الفرنسية سفير فرنسا فى طوكيو لتقديم إيضاحات حول تصريحات رئيسة الوزارة الفرنسية بشأن اليابان..

الشذوذ الغربى :

وإذا كان الشرق لم يسلم من «سلاطة لسان» كريسون (أطلقت هذا التعبير النساء الفرنسيات عليها).. فإن الغرب لم يسلم أيضًا من ذلك..

كان هذا حين صرحت كريسون - ولم يمض على رئاستها للوزراء أشهر - بأن الرجال الغربيين لديهم شذوذ جنسى، كيف؟ قالت بصراحة شديدة:

(إن ربع الرجال البريطانيين والأمريكيين، هم من الشاذين جنسيًا، وحتى الرجال الألمان والرجال الفرنسيين؟

هكذا سألت صحيفة (الأوبزرفر البريطانية) فأجابت كريسون بسرعة:

- لا، أستثنى الرجال الفرنسيين.

وراحت كريسون تعيد تفسير ما قالته مرة أخرى (لمحطة آى بى سى فى منتصف

يوليو ٩١):

- إن جذور الشذوذ الجنسى فى التقاليد الأنجلوسكسونية عميقة وليس الأمر كذلك فى التقاليد اللاتينية.

وفى الأيام التالية ثارت ثائرة الأمريكيين والألمان، غير أن الإنجليز كانوا أكثر غضبًا من غيرهم، لقد أدركوا أن الرئيسة الفرنسية للوزراء ليست لها اهتمامات كبيرة بالوحدة الأوروبية

وإن كانت لا ترفض ذلك، غير أن انتماءها القومى لفرنسا كان يفوق أى انتماء آخر، غير أن هذه الإهانة لم تجد من يفسرها هكذا على النحو السياسى، وإنما وجدت من ينال من أخلاق كريسون نفسها، راحت الصحف تقول:

- هذا لا يليق بكريسون.. إنه كلام رخيص

- الرجل الإنجليزى مخنث، والفرنسى لا، غير أن أكثر التعبيرات عنفاً جاءت من صحيفة (صن) التى تساءلت بقسوة:

- وهل كانت تجارب كريسون مع الرجال البريطانيين هى التى أوحى إليها بمثل هذا الاستنتاج.

وقد دفع هذا كله بالرئيس ميتران الذى يحمل مسئولية كاملة لمجىء كريسون إلى التدخل وراح ينفى عن الشرقيين أو الغربيين مثل هذه الاتهامات التى وزعتها كريسون على الجميع، خاصة اليابانيين، لقد أكد فى نفس الشهر الذى هاجمت فيه كريسون اليابانيين - ٢١ يونيو - أن تصريحات رئيسة الوزراء ليس القصد منها الإساءة إلى اليابانيين وإنما هى تشير إلى قوتهم وطموحهم..

كان على الدبلوماسية الفرنسية أن تسرع إلى رئيسة الوزراء، وتحاول تهدئتها وإثاءها عن سياستها المشاكسة دون جدوى..

بداية السقوط :

ومع أن كريسون ليست وحدها المسئولة عن المنصر السبى الذى وجدت فرنسا نفسها فيه؛ إذ كانت تعاني داخلياً من البطالة وأزمة الأجانب الموجودين فى فرنسا وخاصة العرب منهم، كما عانت فرنسا من ترددها خاصة حين تم الانقلاب على جورباتشوف فلم تحدد موقفاً واضحاً، كذلك، فى الفترة الأولى من حرب الخليج.. وما إلى ذلك.. غير أن تصريحات كريسون المثيرة وهجومها المستمر على الجميع حولها حتى أعضاء من الحزب الذى تنتمى إليه كان واضحاً أكثر من أى شىء آخر..

كانت صورة كريسون نارية المزاج المشاكسة أكثر من صورتها التى سعت بها وخصوصاً فى الفترة الأخيرة من حكمها وإصلاح ما أفسدته..

كانت قد أدركت أن انفعالها المستمر وتصريحاتها العنيفة توشك أن تكلفها كرسى الوزراء، ومن هنا، فقد راحت تعيد النظر فى سياستها ومواقفها، فراحت تهادن وسائل الإعلام التى نالت منها كثيراً، وتتأنى أكثر قبيلاً أن تنطلق الصيحات العالية التى تنتقد بها هذا أو ذاك، بل راحت تستمع إلى نصائح الصحف لها بصمت كيلا ترتكب فى ردها أخطاء أخرى...

غير أن ذلك كله لم ينقذها من السقوط..

فالحزب الاشتراكي الذي انتمت إليه كان قد وصل إلى أقصى هزيمة له حين لم يحصل في الجولة الأخيرة للانتخابات المحلية على أكثر من (١٨ في المائة من الأصوات) في حين حصلت أحزاب اليمين المعارضة على نسبة أكثر من ذلك بكثير، بل إنه في استطلاع للرأي أجرته وكالة فرنسية قبل سقوط كريسون بقرابة عشرة أيام جاءت النتائج أن غالبية كثيرة تصل إلى ٦٠ في المائة تطالب بتغيير كريسون.

وعلى ذلك، بدا واضحاً أن الرئيس ميتران الذي جاء بكريسون لا يد أن يعلن عن ذهابها..
لقد أصبحت المرأة وحدها فجأة..

لم ينفعها تراجعها الأخير حين حاولت استرضاء الجميع بعد أن خسرت الجميع، فإذا بالجميع يطالبون باستقالتها، كانت المرأة هي المسئولة عن سقوطها السياسي، لقد أطلقت الأنثى لسانها العنان فانتصرت على رئيسة الوزراء..

لقد خسرت رئاسة الوزراء لكنها لم تخسر كونها امرأة.. لقد تركت السياسة: وعادت لتتكلمش على جنسها الأنثوي، وتنتظر أن يطلق عليها الرئيس ميتران رصاصة الرحمة.. وأطلقها..
مع هذا، يظهر سؤال: هل أقيمت كريسون حقاً لكونها أنثى؟ بمعنى: هل ردود أفعالها تجاه قضايا سياسية كانت أنثوية خالصة لا ترتبط بالخط السياسي العام لفرنسا..؟ أو أن السياسي لا ينفصل عن الذاتي؟ أو السياسي قبل الذاتي؟

ثانياً: الوزيرة

أديت كريسون التي أقيمت كرئيسة وزراء فرنسا تترك وراءها علامة تعجب لا تلبث أن تتحول إلى سؤال غامض:

هل أقيمت لكونها امرأة مشاكسة أطلق عليها اسم «المرأة النارية»؟ أو لكونها رئيسة وزراء غير موفقة؟

هل السبب هو تكوين الأنثى أم أخطاء السياسي؟

هذا كلام أثير كثيراً ويحتاج إلى شرح، فلنشرح، ولنطرح نموذج الوجه القبيح في الغرب المعاصر..

في الكتاب الوحيد الذي تركته، والذي كتبته قبل تولي رئاسة الوزارة، سوف نجد هذا التمرد على واقعها لكن، أيضاً، هذا الوعي بالواقع السياسي الذي يمر به المجتمع الفرنسي في آن واحد.

يؤكد كتاب (مع الشمس) أنها تأثرت كثيراً بالميل السياسي لأبيها، فقد كان الأب ينتمي إلى اليسار، فراحت تميل إلى الفكر الاشتراكي وتعبّر عنه بالموقف أو التوجه العملي، في حين أن

تمردوا بدأ مع أمها فى المواقف العادية، وهى تعبر عن تكوينها المبكر حين تقول: «أوصتنى أمى لعمل كذا وعملت العكس».

حين طلبت الأم من ابنتها أن تتزوج، ابتعدت هذه الأخيرة عنها لتتغمس - أكثر - فى العمل السياسى، تنتقل من بلد إلى آخر، تمارس الفكر السياسى وتغرق فى التنظيم، فى هذا الوقت تلتقى بالرجل الذى تتزوج منه.

وهذا يشير إلى أمر هام، هو أن ارتباطها الأساسى كان بالأب أكثر منه بالأم، ولا يخفى ذلك عقدة (إليكترا)، بقدر ما يخفى اعتدائاً فى رأى والاستقلال والطموح إلى تحقيق الحلم السياسى والعمل له.

أضف إلى هذا أن تربيتها لم تخل من ترف، وعلى رغم ذلك، فإنها راحت تميل إلى اليسار، ولم تتخل عن هذا الميل، ومن هذا المنطلق، راحت تنتزع منصب رئيس بلدية مدينة «شاتلروه» ووصلت بعدها إلى منصب الوزيرة، وزيرة الزراعة فى إبان حكم الرئيس ميثران.

وهذا كله يعنى، أن كريسون، وإن لم تستطع أن تتخلص من تكوينها الأنثوى، وهى طبيعة الأشياء، فإنها أخضعت تكوينها لطموحها، فأصبحت وزيرة، وهو ما ينم عن شخصية قوية، وهو ما يشير إلى نضج الوعى السياسى فى إطار الواقع وليس فى إطار التكوين البيولوجى وحده.

وعلى هذا النحو، نكون قد وصلنا إلى نتيجة هامة، هى، أنه لا يمكن أن يكون لتكوينها النسائى دور كبير فى تصريحاتها العلنية؛ ففى الظاهر تبدو هذه التصريحات عفوية، تملئها الطبيعة النسائية، غير أنه، فى الواقع، فإن (المسئولة) فى وزيرة لا يمكن أن تخضع لتكوين ذاتى أكثر منه رسمى، وهو ما يصلح كمدخل لفهم مواقفها فى إطار سياسى عام وليس ذاتياً قط.

وسوف لا نستعجل الأمر أكثر من ذلك، وإنما سوف نرى خلال توليها مسئولية الوزارة، كيف أن تصريحاتها أو مواقفها لم ترتبط بالتكوين الفيزيقي أكثر من ارتباطها بالاستراتيجية العليا للدولة.

وفى هذا الإطار، سوف يكون واضحاً لنا أن موقفها من العرب إبان أزمة الخليج إنما لا ينفصل عن موقفها من الآخرين سواء أكانوا من اليابانيين أم الألمان أو الأمريكيين أو غيرهم من الغربيين.

لقد بدت السياسة الفرنسية من العرب حينئذ - ومنذ البداية - تميل إلى بغداد ولم يلبث الموقف أن اتسم بالتردد الشديد، وانتهى إلى الانضمام الصريح للأمريكيين قادة التحالف ضد العراق، ومراجعة أحداث هذه الفترة يمنحنا فناعة مؤداها، أن قصر «الإليزيه» تحول منذ بدايات يناير بوجه خاص إلى الجانب الغربى فى وضوح شديد، وهو موقف اتسم بالبرجماتية الذاتية أكثر منه للمبادئ العامة.

وباستعادة عديد عن مواقف فرنسا الرسمية سوف نتأكد أن موقفها من اليابانيين - فى عهد كريسون - لا يبتعد كثيراً عن موقفها من العرب. ولنتوقف أكثر عند الموقف من اليابان قبل أن نعود إلى العرب..

إن طبيعة رئيسة الوزراء النارية لم تغارق موقف السياسة الفرنسية فى النظر إلى الشرق كله، إذ لم تستطع أن تخفى قلقها الشديد من الصناعة اليابانية التى هدوت الاقتصاد الفرنسى كله، وخاصة فى مجال السيارات وآلات التصوير والتليفزيونات وأجهزة التسجيل.. إلى غير ذلك، وقارئ الكتاب (البيان) «اليابان يمكنها أن تقول لا» يستطيع أن يلحظ فيه نبذة لتحدى من رجال الأعمال والمسؤولين اليابانيين للعرب كله وليس الولايات المتحدة الأمريكية وحدها [صدر لأول مرة عام ١٩٨٩ لاكموموريتا وشتناروا يشارا رئيس مجلس إدارة ومدير عام شركة «سونى»، ورواى يابانى سياسى ومعروف ونشر هذا الكتاب (البيان) فى العالم الغربى كله بسرعة البرق..] وتجع الصحف والكتب اليابانية من سنوات حول الخطر اليابانى، وبدأ مصطلح مثل (الاستعمار اليابانى) يتردد فى الغرب كثيراً، وقد لاحظت صحيفة مثل «ميرالدتريبون» فى ٢ / ٥ / ١٩٩١ أن عبارة: (ضرائب بدون اشتراك فى الحرب) حجة تتردد فى اليابان ترد بها على المطالب الأمريكية بتقديم المزيد والمزيد من الأموال لدعم دول التحالف فى أزمة الخليج مما يشير إلى أن طموح اليابان الاقتصادية إنما يعكس طموحاً سياسياً عالمياً..

ومن الطبيعى أن نلاحظ أن فرنسا - كبقية البلاد الغربية - تسعى إلى التخلص من القبضة اليابانية (كما تفعل الولايات المتحدة تحديداً) فى حين أن القوى اليابانية لا تتراجع بسبب سيطرتها الاقتصادية المستمرة.

الحملة الصليبية :

ولا نحتاج لجيب كبير لفهم موقف كريسون من العرب، خاصة أن هذا الموقف ارتبط شكلياً بأزمة الخليج. فى حين أنه ارتبط مرجحياً بالوطن العربى كله، وهنا، نستعيد موقف فرنسا من العرب إبان هذه الأزمة.

لقد بدا الهجوم على اليابان أشبه (بالحملة الصليبية) التى اتفقت فى كثير من دواعيها مع الحملات الصليبية التى كانت قد جاءت من الغرب المسيحى فى العصور الوسطى إلى الشرق.. وبدا الموقف الغربى من الآخر الشرق العربى معادياً للعرب معاداة تامة، خاصة وأن دواعى هذا الموقف يمكن أن تتشابه الآن مع مثيلاتها قبل ذلك، فهذا هو الصراع الاقتصادى يمثل الدافع الأول للصراع (فى حالة اليابان التقدم التكنولوجى، وفى حالة الوطن العربى التقدم الاقتصادى ممثلاً فى البترول واستثماراته)..

وعبورا فوق الغزو العراقي للكويت (وهو لم يمتلك وعياً بسيطاً بالمفردات العالمية الجديدة بعد انتهاء الحرب الباردة وتعاطم الأهداف الأمريكية.. إلخ). فإننا يمكننا القول أن موقف كريسون من اليابان هو هو موقف كريسون من العرب.

إن صدام حسين لم يكن غير نريعة لدى الحلفاء (التي كانت فرنسا عضواً نشطاً بينهم) للعودة إلى البترول والاستثمارات والموقف الاستراتيجي لتأكيد أحلام الغرب، إن صدام حسين لدى كريسون (أو تاتشر وميجور أو بوش) لا يمكن أن يكون بعد أن أقدم على حماقته أكثر من هتلر (نذكر أن هذا الاسم «هتلر» أطلق في الغرب على صدام وعلى اليابان في وقت متقارب وكان صاحب التسمية هذه كريسون) - وبالتالي، فإن الغرب الآن لا يمكن أن يسمح بوجود «نموذج ياباني» آخر في هذا الشرق، وخاصة أن هذا النموذج - على العكس من اليابان - كان مدمجاً بالسلاح أيضاً.

أضف إلى ذلك كله أن موقف فرنسا كان مناهضاً للعرب، وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد أن موقف ميتران (رئيس الجمهورية الفرنسية وصاحب اختيار كريسون) كان وزيراً للدخالية أثناء الحرب الفرنسية الجزائرية، وكان ضد الكفاح الجزائري، وأمر أن يقدم للمحاكمة كل من يردد بأن الجزائر عربية، وكان لا يرى أن مواجهة الجزائر لا تكون بغير طريق واحد، هو الحرب. ونجدنا مرة أخرى في موقف للعودة إلى ما كان يتردد إبان حرب الخليج حين كانت تهاجم اليابان فتصفها كريسون صراحة بأنها تسعى إلى ما يسعى إليه صاحب كتاب (كفاحي) وبذلك راحت تقرن اليابان بهتلر، وهو ما يذكرنا بالرسالة التي قدمها مفكر إلى الاشتراكيين الفرنسيين الذين كانوا يتولون الوزارة بواسطة كريسون إبان أزمة الخليج إذ قال «- لقد سمينا، على الدوام، كلا من بن بيلا وعبد الناصر بهتلر.. (و) أن الغرب يختار من يسميهم بهتلر على هواه ومصالحه. وبذلك، فإن ذكر صدام حسين واقتراحه يمثل هذه الأسماء إنما كان يحمل هاجس تهديد الغرب وإيقاظ المشاعر الاستعمارية القديمة.

الغرب ضد الغرب :

الأكثر من هذا أن الغرب في مواجهة الشرق بدا في كثير من الأحيان ضد نفسه، وذلك يحدث حين تتصادم الإرادات الاستعمارية أو المصلحية بين دولة وأخرى. لقد راحت كريسون تعلن - بشكل بدا أيضاً عقوياً ومثيراً - «أن الرجال البريطانيين والألمان والأمريكيين يميلون إلى الشذوذ الجنسي».. إلخ. والواقع أن الموقف الفرنسي هذه المرة كان يحمل التمرد على ذاته، فمع أن الاقتصاد الفرنسي يمثل رابع أضخم اقتصاد في العالم فإنه كان يقف في المرتبة الخامسة عشرة بالنسبة إلى المنافسة مع الغرب.

وهذا الموقف يقترب من التناقض مع الغير والاتساق مع النفس..

غير أن هذا الموقف هو الذى كان يمكن أن يفسر به التردد الذى كانت تبدو به سياسة قصر (الإليزيه)، لقد بدا هذا التردد فى الأزمة اليوغسلافية، وفى انهيار الاتحاد السوفيتى، وفى توحيد الألمانيين، وفى الانقلاب على جورباتشوف، غير أنه كان يبدو أكثر وضوحاً فى أزمة الخليج الأخير، وفى بداية الأزمة - كما يلاحظ محمد حسنين هيكل فى كتابه عن «حرب الخليج» كان التأثير الواضح على دور باريس هو التأثير التقليدى للدبلوماسية الفرنسية التى كانت ترى أن تحتفظ لفرنسا بموقفها على مسافة ما من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وأن ذلك أدهى إلى تحقيق المصالح الفرنسية الاقتصادية العسكرية فى المنطقة - وكان من تصورات الدبلوماسية الفرنسية أن الأزمة ربما تحل بغير حرب لأن بغداد لن تواصل تحديدها إلى ما لانهاية، بل إنها لابد أن تتوقف عند مرحلة منه وأن تستعمل اتصالات طرف نافذ فى الغرب. وفرنسا هى المرشحة لهذا الدور، وإن وسائل هذا الدور متاحة أمام قصر الإليزيه، غير أنه حين بدت الحرب وأن حجم التعاقدات والشروعات بعد الحرب ستكون أكبر، تحول التردد بسرعة إلى تأييد الأمريكين^(٥)..

لقد أكدوا الولاء لبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.. وهنا بدا موقف ميثران موقفاً براجماتياً خالصاً!!

وتحول الحزب الاشتراكي الفرنسي إلى رصيد جديد لسياسة الغرب التقليدية ضد الشرق، وبدا الاشتراكيون الحاكمون فى فرنسا منحازين تماماً إلى صف اليمين الغربى الذى اشتد ساعده الآن وتحول من أفكار الحضارة الغربية ومبادئها إلى الطريق الآخر، طريق الاستعمار والعنصرية. لقد وقف الغرب ضد الشرق، وتحولت كل الأحزاب اليسارية والاشتراكية إلى صف اليمين العنصرى..

ولم يعد يجدى الآن أن نتحدث عن أفكار تحريرية أو اشتراكية، وإنما عن قرن جديد آت، يطمح فيه الغرب أن يكون هو (قرن الغرب)..

وهنا نستطيع أن نفهم تصريحات أديث كريسون: المرأة ورئيسة الحكومة، يتمزق القناع وظهور الوجه الحقيقي الغربى الوجه القبيح.

(٥) هذه السياسة (النفعية) الخالصة نجدها منذ فترة مبكرة فى أزمة الجزائر الأخيرة، إذ كانت هناك مفاوضات سرية تجرى فى الجزائر العاصمة، بين فرانسوا شير (استقال مع قضية جورج حبش) وبعض القادة الإسلاميين فى (الجبهة الإسلامية) للإنتفاذ، وما إن أعلنت نتائج الاقتراع الأول حتى استعجل جاك دولور بالتصريح: «لماذا لا نتعاون مع الجبهة؟! أمورنا تسير جيداً مع العربية السعودية؟».. وهنا رواية جاءت عنى لسان رشيد بو صيرة فى إحدى حواراته، انظر السفير ١٨ / ٤ / ١٩٩٢.

المراجع

تشير العديد من المراجع إلى ادِيث كريسون، وهذا النمط يقدم شخصيتها بهذا الشكل على سبيل المثال الذي يتكرر كثيرا:

ولدت ادِيث كريسون لعائلة باريسية ميسورة عام ١٩٣٤، وتعلمت اللغة الإنكليزية عن طريق مربيتها البريطانية. وأثناء نضوجها أدارت ظهرها للسياسات المحافظة للطبقات الوسطى الفرنسية لضجرتها من معالم هذه الطبقات.

انضمت لعضوية الحزب الاشتراكي الفرنسي، وعملت في حكومة بيير مورو كوزيرة للزراعة خلال الفترة من ١٩٨١ حتى ١٩٨٣، ثم وزيرة للتجارة والسياحة خلال الفترة من ١٩٨٣ حتى ١٩٨٤. ووزيرة للتجارة الخارجية والتنمية خلال الفترة من ١٩٨٤ حتى ١٩٨٦ وعندما عاد الاشتراكيون للسلطة عام ١٩٨٨ سماها ميشيل روكار وزيرة للشئون الأوروبية، لكنها استقالت بعد عامين بعد أن شككت في جدوى سياسات روكار المتعلقة بالاقتصاد والشئون الخارجية.

وخلال هذه الفترة اكتسبت كريسون رصيذا كممثل للجناح اليساري للحزب الاشتراكي في الحكومة. ونتيجة لذلك اختارها الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران في الخامس عشر من آيار (مايو) ١٩٩١ لرئاسة الحكومة، الأمر الذي أثار دهشة الرأي العام. وكانت تلك هي المرة الأولى التي تشغل فيها سيدة منصب رئيس الوزراء في تاريخ فرنسا. ولكنها اجبرت على الاستقالة في إبريل (نيسان) عام ١٩٩٢ بعد مواجهتها سبيل الانتقادات العامة للحادة للسانة والانتزاع من الإدارة الاشتراكية.

عملت عام ١٩٩٥ كعضو في اللجنة الأوروبية مسئولة عن البحث والعلوم والتطور، لكن إدارتها لنفقات الميزانية قد أثارت عليها الاعتراضات وجعلتها عرضة للانتقادات الداخلية. وفي ١٦ آذار (مارس) عام ١٩٩٩ استقالت من منصبها هي وكامل أعضاء اللجنة الأوروبية. واستمرت في تصريف الأعمال حتى تنصيب اللجنة الجديدة برئاسة روماتو برودي في آيار (مايو) ١٩٩٩.

وقد وجدت ادِيث كريسون، التي هبطت شعبيتها إلى أعماق جديدة في بداية التسعينات من القرن الماضي عندما عينت رئيسة للوزراء، نفسها وسط أزمة تزوير تتعلق بالاتحاد الأوروبي وذكرت لجنة كلفت بإجراء تحقيق في المخالفات أن عضو اللجنة الأوروبية قد اخفقت في الاستجابة للمخالفات المعروفة والخطيرة والمستمرة عبر سنوات عدة:

- <http://www.aawsat.com/details.asp?>

- <http://www.almotamar.net/news>

- <http://www.azzaman.com/azz/articles>

- <http://www.iraqcp.org.htm>

- <http://www.alhayat-j.com/details.shp>